الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و
البحث العلمي
جامعة المسيلة
كلية : العلوم الانسانية و
الاجتماعية
قسم : التاريخ

جوانب من الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط
- التكافل الاجتماعي

مذكرة مكملة لنيل شهادة
الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ وسيط

إعداد الطالبة :
فاطمة الزهرة دحماني
إشراف الأستاذ :
محمد حصباية

السنة الجامعية :
2014 -2013 م
1435 - 1434 هـ

بسم الله الرحمان الرحيم

" وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " المائدة (2)

كلمة شكر

" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون."

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث المتواضع وأخص بالذكر محمد حصباية الذي قدم لي العون الكثير وخصني بنصائحه وتوجيهاته طوال مرحلة العمل.

وكل أساتذة قسم التاريخ بجامعة المسيلة الذين بذلوا معي من الجهد حتى بلغت هذه المرحلة كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذ: حروز عبد الغني الذي ساعدني في إنجاز هذا العمل، وإلى كل من ساهم في إنجازه من قريب أو بعيد.

اللهم نسألك العفو والعافية والتوفيق والرضا

آمين

إهداء

" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا."

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله الذي شرح لي صدري ويسر لي امري.

إلى من منحني ثقته ووضعها نصب عيني وعلمني أن الأخلاق تاج كل إنسان في هذا الكون، إلى من علمني أصول الحياة بمعانيها وكان لي المثل الاعلى، إلى من احمل اسمه بكل إفتخار وارفع رأسي إفتخارا به أبي خلاف حفظه الله.

إلى أغلى نعم الله علينا في هذا الكون ركيزة الاسرة ونورها الذي لا ينطفئ إلى معنى التفاني والحنان إلى التي رآني قلبها قبل عينيها وحضنتني أحشائها قبل يديها، إلى التي برضاها يرضى عني خالقي، أمي الحبيبة زوليخة أطال الله في عمرها.

إلى من تطيب معه الحياة،أخي الغالي عثمان حفظه الله، وإلى أخواتي حنان، أشجان، هديل.

إلى من علمني أن العلم صلاح والحياة كفاحا عمي النوي ولا أنسى زوجته وأولاده.

إلى أجدادي الطاهر ورمضان، وجداتي أم هاني وجميلة وسعودة، وإلى روح جداي دحمان ورابح رحمهما الله.

إلى عماتي وازواجهن وأبنائهن خاصة عمتي سلوى.

إلى أخوالي وزوجاتهم وأولادهم، وإلى خالاتي وأزواجهن وأولادهن.

إلى نعم العون والاخوة إلى التي معها تطيب الاماني أسماء

إلى كل طلبة قسم التاريخ بجامعة المسيلة خاصة طلبة سنة ثانية ماستر (تاريخ وسيط).

إلى من نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي .

لكم جميعا أهدي ثمرة جهدي هذا.

فاطمة الزهرة

مقدمة

مقدمـــــــــــة

أ -أهمية الموضوع و إشكالاته:

عرفت الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط في العصور الوسطى تطورا هاما ، و هذا التطور نتج عن تكافل الناس و تعاونهم و ترابطهم فالناس فيه ليسوا على نسق واحد في المستوى المعيشي و المستوى العلمي و غيرها من المستويات، فهم يتفاوتون في أوضاعهم و أحوالهم، فمنهم الفقير و المريض و العاجز، و اليتيم، و هؤلاء يحتاجون إلى تنظيم دقيق يرتب أمور معيشتهم، و يرعى أحوالهم، و يهتم بشؤونهم و يحقق لهم التوازن في مختلف فئات المجتمع دون خلل أو تقصير.

إن التكافل الاجتماعي يعالج أهم القضايا الإنسانية التي عرفها التاريخ فهو يساهم في التخفيف من معاناة الضعفاء و يقضي على الفقر، و يساعد اليتيم و المريض ويساهم في إصلاح المجتمع و هذا من أجل ضمان مستوى معيشي لائق يحافظ على كرامتهم و شرفهم و يساعد على دمجهم في المجتمع بشكل يحفظ لهم ماء الوجه.

و يعتبر موضوع التكافل الاجتماعية من الموضوعات الأكثر تداولا على ألسنة الناس، غير أنه لم يستوف حطة من البحث و لا يزال في أمس الحاجة إلى البحث و التمحيص، لذلك كان للموضوع أهمية قصوى له يسلط الضوء على جانب مهم من جوانب الحياة الاجتماعية بالمغرب الأوسط إلا أنها لم تولي موضوع التكافل الاجتماعي اهتمام كبيرا، فهذا ما جعلني أختار هذا الموضوع إضافة إلى الطابع المميز الذي تكتسيه مثل هذه الدراسات.

و من هذا المنطلق يتبادر على الذهن مجموعة من الإشكالات هي كالتالي:

- كيف ساهم التكافل الاجتماعي في بناء مجتمع المغرب الأوسط؟ و يتفرع عن هذا عدة إشكالات ثانوية
- ماذا نقصد بمصطلح التكافل؟
- ما هي أهم الوسائل لتحقيق مبدأ التكافل؟
- و ما هي أهم الفئات التي شملها نظام التكافل؟ و كيف ساعد في إصلاح المجتمع؟.

ب –المنهج:

و للإجابة عن هذه التساؤلات و الإشكالات اعتمدت المنهج التاريخي القائم على استنباط المعلومة من المصادر و المراجع، بتوظيف تقنيات الاستقراء و التحليل للمادة التاريخية، بالإضافة إلى المنهج الوصفي الملائم لهذا النوع من الدراسات.

ج– الصعوبات:

و كأي بحث فقد واجهتني أثناء هذا البحث مجموعة من الصعوبات، نظرا لما يكتسيه الموضوع من أهمية، و صعوبة الإلمام بجميع جوانب الموضوع لتشعبه بالإضافة إلى عدم توفر وسائل البحث، و ضيق الوقت الممنوح لي لإتمام هذه الدراسة.

د– عرض الموضوع:

و للسير الحسن و المنظم للعمل و المعلومات المتحصل عليها، قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول(فصل تمهيدي_ فصل أول _ فصل ثاني) و هذا للوصول إلى حقيقة الظاهرة المدروسة.

ففي الفصل التمهيدي تطرقت إلى ضبط مصطلح المغرب الأوسط لأنه لا يمكن دراسة التاريخ بمعزل عن المكان فوجب عليا تحديد حدود المغرب الأوسط، ثم قمت بضبط مصطلح التكافل و فيه تعرضت للتكافل (لغة و اصطلاحا، و كيف نظر علماء النفس و الاجتماع له، و الأدلة الشرعية للنظام التكافل.

أما الفصل الأول فكان تحت عنوان موارد التكافل، و تم فيه عرض أهم الوسائل التي كانت مصدر التكافل مثل (الزكاة– الأحباس ... إلخ.)

أما الفصل الثاني كان تحت عنوان مظاهر التكافل بالمغرب الأوسط و قد تم فيه عرض لأهم الفئات التي شملها نظام التكافل مثل الفقراء و الأيتام، كبار السن و المرضى، بالإضافة إلى مقدمة التكافل للمجتمع من إصلاحات: مثل إنشاء المساجد و الزوايا و المدارس و &غيرها مما قام به أفراد سكان بلاد المغرب.

هـ- مصادر و مراجع المادة:

لم تعد الكتابة في موضوع ما مقتصرة على نوع واحد من المصادر، فكلما تنوعت المادة العلمية من (مصادر- مراجع- مقالات ... إلخ) زادت قيمة البحث العلمية، و لإعطاء بحثي هذا بعدا منهجيا اعتمدت على مجموعة من المصادر تأتي في مقدمتها القرآن الكريم، بالإضافة إلى كتب المناقب ة التراجم و كتب الجغرافيا و غيرها:

1 - كتب المناقب و التراجم:

يشكل هذا النوع من المصادر روافد الدراسة لما تتضمنه من أخبار عن الحياة الاجتماعية و فئات مجتمع المغرب الأوسط و ما بذلوه من جهود في بناء مجتمعهم نذكر منها:

- **المناقب المرزوقية:** لمؤلفه عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (ت 910 هـ / 1329 م) ، و &يعتبر من أهم المصادر التي تحدثت عن الحياة الاجتماعية بالمغرب الأوسط و الذي كان له دورا كبيرا في بحثي هذا هو كتابه (المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولان أبي الحسن، و ما قدمه من معطيات حول حنوه على الأيتام، مساعدة الشيوخ- و ما قام به في بلاد المغرب الأوسط من بناء مساجد- زوايا- مدارس- بيمرستانات) و كل هذا يدخل ضم التكافل.
- **روضة النسرين** : روضة النسرين للتعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين: الابن صعد التلمساني (ت 901هـ / 1495م)، و إستخدت منه في ذكر: أحمد العماري، أحمد أبركان، إبراهيم النازي، و لما لعبوه من دور في الدفاع عن الضعفاء و تصديهم للسلطة.
- **كتاب:** أخبار الأئمة الرستميين: لابن الصغير، كان له دور كبير كون المؤلف عاش في مدينة تاهرت و كان شاهد عيان على ما مارسه الأئمة الرستميين من تكافل.
- كما استعنت أيضا بعدد من الكتب الجغرافية و ذلك للتحديد الجغرافي لمنطقة المغرب الأوسط و بعض منها: أهمها معجم البلدان لياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1929م)، و الشريف الإدريسي: نزهة المشاق في اختراق الآفاق و غيرها.

نماذج كتب التاريخ: مثال

- نظم الدور و العقيان في بيان شرف بني زيان و ذكر ملوكهم الأعيان لآبي عبد الله محمد بن عبد الجليل القسي(ت 899هـ/ 1493م).
- ابن خلدون و كتابه العبر.

2 - كتب الفقه و الفتوى:

- **المعيار المعرب و الجامع المعرب:** عن فتاوى أهل إفريقيا و الأندلس و المغرب لأبي العباس احمد بن يحي الونشريسي التلمساني (ت 914هـ/ 1509م)، و يعتبر مصدرا مهما للدراسة لأنه تناول الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب الأقصى بدقة و استعملتها خاصة في (باب الأحباس- الهدايا- الزكاة).

نماذج من الدراسات المعاصرة:

- **اعتمدت على كتاب: تلمسان في العهد الزياني** : لعبد العزيز فيلالي، بحيث تناول فترة واسعة من تاريخ الدولة الزيانية تطرق فيه إلى الحياة الاجتماعية في تلك الفترة عامة و نظام التكافل بصفة خاصة.
- **كمال السيد أبو مصطفى:** جوانب الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشري، و قد تكلم عن التكافل بالمغرب الإسلامي و ذكر من خلاله (الأحباس ... الخ) .
- **كتاب الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين (09-10هـ):** و تناول موضع الحياة الاجتماعية بالمغرب الأوسط بنوع من الدقة و التفصيل، و لم يترك بابا في هذا المجال إلا و طرقه.

كما لا يفوتني أن أكرر الشكر للأستاذ المشرف على حسن توجيهه و إرشاده و مساعدتي و صبره معي، و أسأل الله العلي القدير أن يجزيه عني خير الجزاء و التقدير.

الفصل التمهيدي: ضبط المصطلحات

أولا: المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط

1 – تحديد الجغرافيين للمغرب الأوسط

2 –تحديد المؤرخين للمغرب الأوسط

ثانيا: تعريف التكافل

1 – لغة

2 –إصطلاحا

ثالثا: التكافل الإجتماعي من منظور علماء النفس

رابعا: الأدلة الشرعية لنظام التكافل

1– القرآن الكريم

2– السنة النبوية

3–الاجماع

أولا: المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط

لقد كان إقليم المغرب الأوسط يمثّل عند الجغرافيين حلقة وسط بين أجزاء المغرب الإسلامي وبما ورائها من البلاد فهو يربط ولاية إفريقية (تونس) وما ورائها بالمغرب الأقصى وماوراءه.

وقد سمح لها هذا الموقع أن تدخل ضمن دائرة التجارة العالمية ،حيث كان التجار يتجهون من عاصمة الخلافة إلى أوربا شرقا وإلى شمال إفريقيا فالأندلس فإوربا في دائرة مغلقة[1]

لكن المشكلة التي تعتري دراسة التاريخ المتعلقة خاصة بالمغرب الاوسط يجد صعوبة في ضبط حدوده وذلك راجع إلى أمرين محورين ومهمين لتحديد الأول مرتبط بالمجال الّذي تسيطر عليه الدولة ، والثاني أنّ حدود خاضعة لطبيعة المجتمع القبلي كثير الحركة [2]، وهذين العاملين أثرا بشكل كبير في تحديد المجال وحدود المغرب الاوسط ضمن مجال المغرب الإسلامي الّذي كان وحدة واحدة لكن مع ظهور الحروب والنّزاعات ورغبة بعض العصبيات سواء الدينية أو القبلية في الإنفصال والإستقلال عن المركز.

تحديد بعض الجغرافيين للمغرب الأوسط :

إنّ تحديد مجال المغرب الأوسط بمعزل عن المغرب الإسلامي كان من الصعب جداً ، لما كان للمغرب الإسلامي من تلاحم وعوامل مشتركة وتأثيرات متبادلة ، صعب الفصل بينها بحدود جغرافية لذلك نجد جل التقسيمات أو الحدود التي وضعها الجغرافيين كانت تخضع في الغالب للسلطة السياسية المسيطرة والمتمركزة بالإقليم أو طبقا للعصبيات القبلية وولاءها للعصبية الدينية .

ابن حوقل :

يعتبر من المصادر المهمة لما عاشه بعينيه في تلك المنطقة فقد قسّم المغرب إلى قسمين شرقي وغربي ، الأول يمتّد من برقة إلى نواحي افريقية ، والثاني يمتّد من إفريقية إلى البحر المحيط[3].

وهذا القسم أي الغربي قال عنه " بلاد مسكونة ومدن متصلة الرساتيق والمزارع والضياع والمياه والولاة و السلاطين والملوك والحكام والفقهاء وكل ذلك في جملة صاحب المغرب وحوزته وقبضته أو في يد خليفته..." [4]

---

[1]– لومبارد موريس ،**الإسلام في مجده الأول** ، ترجمة العربي اسماعيل ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، 2003 ،ص 325.

[2]– الطاهر الطويل ، **المدينة الإسلامية و تطورها في المغرب الأوسط ق 1هـ/ق 5هـ** ، المتصدر للترقية الثقافية ، ط1 ،2011 ، ص 26.

[3] –ابن حوقل (ت 343هـ) ، أبي القاسم النصيبي ، **صورة الأرض** ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1992م ، ص 64.

[4] – ابن حوقل ، نفسه ، ص 65.

أبو عبيد البكري

يقسم المغرب إلى قسمين : إفريقية وبلاد المغرب ، أمّا حديثه عن المغرب الاوسط فذكر تلمسان هي قاعدته ومركزه إذ يقول " ... وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد وجامع وأشجار و أنهار عليها الطواحين وهو نهر ... وهي دارة مملكة زناتة....[1]

الشريف الإدريسي :

نلاحظ أنّ الشريف الإدريسي كان دقيقا في تحديده للمغارب الثلاثة وذلك بالاعتماد على مركزية المدن التي كانت مركز السلطة وعاصمتها حيث يقول عن المغرب الأوسط "ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حمّاد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة "[2].

كما حدد مجال المغرب الاوسط من الغرب بمدينة تلمسان " ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للداخل والخارج منه.." [3]

ونلاحظ أنّه اعتمد في التقسيم والتّمييز بين المغاربة الثلاث بمركزية المدن الكبرى في ذلك الوقت وهي المهدية ، فاس ، بجاية .

ياقوت الحموي :

يُذكر أنّ بجاية هي الحد الفاصل بين إفريقية والمغرب " سميت إفريقية لأنّها فرقت بين مصر والمغرب ،وحد إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والاسكندرية إلى بجاية ، وقيل مليانة..."[4].

ويظهر خلال تعريفات الجغرافيين انّه لا توجد صورة واضحة المعالم عن المغرب الأوسط وذلك راجع إلى التغيرات السياسية وانهيار دويلات وقيام أخرى اضافة إلى بنية المجتمع وتوزع قبائله وعصبياتهم [5]داخل ذلك المجال لذلك نرى أنّ تحديدات الجغرافيين كانت غير دقيقة متجاورة العامل الثاني وبنت جل تحديداتها على العامل السياسي فقط.

---

[3]– أبو عبيد البكري (ت 487هـ) ، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب – جزء من كتاب المسالك و الممالك** ، دار الكتاب الأسلامي ، القاهرة ، ص 77.

[2]– الإدريسي ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، مطابع بديل ، ليدن ، 1863م ، ص 90.

[3] –الإدريسي ، المرجع نفسه ، ص 82.

[4]– ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، مج1 ، دار صادر بيروت ، لبنان ، 1977م ، ص 288.

[5]– محمد نجيب بوطالب ، **سسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت ، ص 20.

من خلال بنية المجتمع وقبائله تبرز دور السلطة أو الدولة على كسب ولاء جميع تلك العصبيات ودمجها مع بعض متجانسة ومتجاوزة لعصبية الدم والنسب والأصل[1] .

حدود المغرب الأوسط عند المؤرخين :

ابن خلدون أنموذجا:

لقد اخترت ابن خلدون كنموذج عن المؤرخين ولن نجد أحسن منه فق د تميّزت معطياته بالدّقة والوضوح والشمولية والموضوعية حيث يقول عن المغرب الأوسط أنّه " في الأغلب ديار زناتة كان لمغراوة وبني يفرن ، وكان معهم مديونة و مغلية وكوميةومطفرة ومطماطة ثمّ صار من بعدهم لبني وماتوا وبني يلومي ثمّ صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان "[2]

هنا نلاحظ أنّ ابن خلدون اعتمد على الأسس القبلية في التقسيم حين قال أنّ المغرب الأوسط ديار زناتة وعدد جل العصبيات المتواجدة به حتى السابقة لعصره ، كما لم يغفل الجانب السياسي حين ختم كلامه بأنّ تلمسان قاعدته .

فهو يرى أنّه يمتد من واد ملوية غربا إلى واد الشلف والزاب شرقا ، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا.[3]

وتعتبر الأقاليم الممتدة من الجزائر غربا إلى بجاية شرقا بلاد صنهاجة ، أمام إقليما بجاية وقسنطينة فهو مواطن كتامة وعجيسة وهوارة وماوراء قسنطينة حدود إفريقية وطرابلس[4].

ونلاحظ أنّ هذا التقسيم استند إلى التوزيع القبلي لمرحلة ما قبل 5هـ / 11 م حيث سيطرة الدولة الحمادية (405 هـ - 547 هـ/ 1014 م - 1152م) على الأقاليم الثلاثة وزاحمها المرابطون بعد ذلك ثمّ جاء الزحف الهلالي ليغير بنسبة كبيرة التركيبة القبلية للمغرب الإسلامي الأوسط ، حيث نجد أنّ هذه الفسيفساء قد اخضعت فيما بعد لسلطة واحدة مركزية هي الموحدين.[5]

---

[1]-محمد نجيب: نفسه، ص20

[2]- ابن خلدون (ت 808هـ) ،**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ،نشره: خليل شحادة، بيروت: دارالفكر، 1421هـ - 2000م،ج6،ص 128.

[3] مرزوق بتة ، **الزخرفة العمائرية في عمارة المغرب الأوسط خلال الفترة (5هـ- 8هـ)** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، الجزائر 2008م ، 2009م ، ص20.

[4] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 129.

[5]مرزق بتة : المرجع السابق ، ص 20، 21 . (انظر: الملحق رقم-1-).

ثانيا: تعريف التكافل .

جاء لمادة (كفل) في اللغة اشتقاقات كثيرة ومتعددة نذكر منها ما يلي:

1 – لغة: الكَفَلُ، بالتحريك: العَجُزُ وقيل: رِدْفُ العَجُزِ

والْكفلُ: من مراكب الرجال وهو كساءُ يؤخذ فيُعقَدُ طرفاهُ ثم يُلقي مُقدّمه على الكاهل ومُؤَخِره مما يلي العجُز.

وقيل: هو شيء مستدير يتخذ من خِرَقٍ أو غير ذلك ويوضع على سنام البعير.

والكفل: الحظ والضعف من الأجر والإثم، وعمّ به بعضهم.

والكِفْلُ بالكسر: الحظ والنصيب [1]

ويقال كفله وكفلّه: أعاله والكافل أي العائل .[2]

والكافل: القائم بأمر اليتيم المربّي له وهو من الكفيل الضّمين، أي أن اليتيم سواء كان الكافل من ذوي رحمه وأنسابه أو كان أجنبياً لغيره تكفل به.

والكافل الكفيل: الضامن والأنثى كفيل أيضا، وجمع الكافل كفل، وجمع الكفيل كفلاء، وقد يقال للجمع كفيل، كما قيل في الجمع صديق ((وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا))[3] أي ضمنها إياه حتى تكفل بحضانتها ومن قرأ ((وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)) فالمعنى ضمن القيام بأمرها.

وكفل المال وبالمال: ضمِنَهُ، وكَفَل بالرّجُل، ضمنه[4].

---

[1] – ابن منظور: **لسان العرب**، تح: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د،س)، ص 3905 – 3906.

[2] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ): **القاموس المحيط**، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، 2005، ص46/4.

[3] – آل عمران: الآية 37.

[4] – إبن منظور: مصدر سابق، ص 3609.

والكفل بمعنى الضعف والنصيب: زمنه قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الذّينَ آمَنُوا اتَّقُواْ اللَهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ))[1] أي ضعفين ونصيبين من الأجر وقوله تعالى ((وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)) أي نصيب منها[2].

الكفيل بمعنى الشاهد والرقيب ومنه قوله تعالى ((وَقَدْ جَعَلَهُمْ اللَهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً)) [3] أي شاهداً ورقيباً، ويأتي الكافل بمعنى الضامن.

الكافل بمعنى العائل والضامن ومنه قوله تعالى: ((إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفَلُ مَرْيَمْ)) [4] أي أيهم يعيلها ويضمن معيشتها.

- وجاء في كتاب المختار من صحاح اللغة.

الكفل: إسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو من الكفالة.

والكفلُ أيضاً، ما اكتفل به الراكب وهو أن يدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب، ومنه حديث إبراهيم قال: ((يكره الشرب من ثلة الإناء ومن عروته قال: يقال: إنها كفل الشيطان)) والكَفَلُ بفتحتين للدابة وغيرها [5]

- وفي معجم العين للفراهيدي جاء في مادة كفل:

الكفل: الرجل الذي يكون في مؤخرة الحرب إنما همته التأخر والفرار، وهو بيّنُ الكفولة.

والمكافلة: مواصلة الصيام.

---

[1] - سورة الحديد: آية 28.

[2] - سورة النساء: آية 58.

[3] - سورة النحل: آية 91.

[4] - سورة آل عمران: آية 44.

[5] - محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي: **المختار من صحاح اللغة**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ص 454- 455.

2 – اصطلاحاً :

يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي: أن يكون أحد الشعوب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادر، أو ذي سلطان ،كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الأضرار[1].

والتكافل في معناه الاصطلاحي: أي يتكافل ويتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء كانوا أفراداً أو جماعات حكاماً أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم... أو سلبية كتحريم الاحتكار... بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد[2].

والتكافل بشتى صوره يسعى للتعرف على التفاعلات العديدة المتداخلة بين البشر، وبيئاتهم لذا فمهمته هي تقوية قدرات هؤلاء البشر على تطوير حياتهم وتحسين أو ضاعهم المعيشية[3].

ولعلّ أبلغ معنى جامع للتكافل الاجتماعي قوله عليه الصلاة والسلام ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) وقوله عليه الصلاة والسلام ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)).

–إن التكافل الاجتماعي يوجب على القوامين توزيع الأعمال بمقدار المواهب والقوى ونعرف قوة كل ذي قوة، ومواهب ذوي المواهب، ليعمل الجميع في اتساق.

إن هذا النظام يوجب أن يكون للناس جميعاً متساويين في أصل الحقوق والواجبات، ويوجب أن تكون نتائج الأعمال بمقدارها فذوا الكفاية الممتازة له من الثمرات بمقدار كفايته [4].ومعنى التكافل هو ما يقرره صريح قوله تعالى ((وتعاونوا على البّر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)) [5]، وما يؤكده عليه الصلاة والسلام

---

[1] – محمد أبو زهرة: **التكافل الاجتماعي في الإسلام**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991، ص7.

[2] – عبد الله صالح علوان: **التكافل الاجتماعي في الإسلام**، دار السلام، (د.س)، ص9.

[3] – خليل عبد المقصود عبد الحميد: **الخدمة الاجتماعية وحقوق الإنسان**،كلية الخدمة الاجتماعية،القاهرة ،(د،س)ص6.

[4] – محمد أبو زهرة: مرجع نفسه، ص7.

[5] – سورة المائدة: آية 02.

في أكثر من حديث كما ذكرنا سابقاً: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)) [1]، ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[2].

إن نظام التكافل الاجتماعي لا يقتصر على ضمان الأمور الضرورية والحيوية بالنسبة للفرد والجماعة، ومرتكز على جوانب معينة من البر والإحسان والصدقة لفئات الفقراء والمحتاجين والعاجزين....

ولكن الحقيقة التي لا جدال فيها أن التكافل يشمل تربية عقيدة الفرد وضميره، وتكوين شخصيته، وسلوكه الاجتماعي. وفي هذا المعنى لمفهوم التكافل يقول شهيد الإسلام الأستاذ سيد قطب: رحمه الله: [إن نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام نظام كامل، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى هذا النظام قد تدخل فيه][3]

وخلاصة القول: أن نظام التكافل الاجتماعي هو أن يتكفل المجتمع بشؤون كل فرد فيه من ناحية من النواحي الاقتصادية والإجتماعية والثقافية والصحية، وقد دعت جميع الشرائع السماوية الإنسان إلى التضامن مع أخيه وترسيخ مبادئ التكافل في المجتمع الإنساني وجاءت بعد ذلك الشرائع الوضعية تسير على هذا المبدأ السامي، من أجل تحقيق السلام الاجتماعي، واعتبرت هذه الشرائع أن الفرد عليه واجبات نحو المجتمع كما له حقوقاً عند المجتمع كذلك.

ثالثا: التكافل الاجتماعي من منظور علماء النفس.

لقد نادى الإسلام الحنيف بالتكافل الاجتماعي حيث دعا إلى كفالة القادر لغير القادر، سواء كانت قدرة مالية أو جسمية أو اجتماعية أو ذهنية، وما أعظم أن يتكفل الأبناء بمبائهم في الكبر كما سبق أن تكفل الاباء بأبنائهم في الصغر، وما أعظم أن يكون نبع الحنان تيار جاري متبادل بين الآباء والأبناء وهكذا يتجسد مفهوم التكافل الاجتماعي في الأسرة، كما جاء به الإسلام، ويشعر الإنسان أن سنوات عمره ولو طالت لا تشكل إلاّ عبئاً فكما أعطى وهو في صباه لأسرته وبلده فإنه ينال الاحترام والرعاية في الكبر[4].

---

[1] – رواه البخاري ومسلم (نقلا عن صالح علوان: ص10).

[2] – أخرجه البخاري (نقلا عن صالح علوان: ص10).

[3] –عبد الله صالح علوان: مرجع سابق، ص15

[4] – محمد سيد فهمي: **رعاية المسنين**، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2008، ص70.

كما أن أفراد الأسرة القادرين على العمل عليهم أن يقدموا جهدهم وحصيلة عملهم لخير أفراد الأسرة الآخرين، وليس على المسن التزام بالعمل بل أن مغانم القادرين على العمل يوجهونها ويوزعونها على الجميع بالعدل والقسطاس ومن ثم يكون للمسن الكبير في الأسرة ما يلي[1].

1 – الاحترام والاعتبار الكبير بين أفراد الأسرة الآخرين.

2 – الضمان والأمان الاقتصادي بحيث لا يواجه حاجة مادية، فالكل ملزمون بالعمل والعطاء من أجل كبار السن والنساء والأطفال.

3 – على الأبناء والأحفاد من الذكور وزوجاتهم وبناتهم ،تقديم سبل الرعاية والخدمة الشخصية التي يحتاج إليها المسن إذا حرم من كفالة أو رعاية شريك حياته أو حرم من أقرب المقربين إليه[2].

4 – يضاف إلى ما سبق أن نظام التكافل الاجتماعي ،الذي أتى به الإسلام قد أعطى لكل فرد من أفراد الأسرة وبخاصة غير القادرين على العمل ،ومنهم المسنين مثلاً الحق على القادر ذي المورد المادي والاقتصادي في الحصول على النفقة تبعاً لدرجة القرابة وتسلسلها[3].

5 – أنه حتى مع نظام الميراث واستحقاق كل فرد لما يستحقه بعد وفاة مورثه طبقاً لأنظمة المواريث وبخاصة النظام الوحيد الذي آتت به الشريعة الإسلامية فإنه يظل مع ذلك طبقاً لنظام الأسرة الممتدة و التقاليد والعادات الاجتماعية الموروثة في الريف في العلاقات الأسرية المترابطة[4].

والتكافل الاجتماعي، عند علماء النفس معناه كفالة الناس بعضهم لبعض وضمانهم بعضهم لبعض ومساندة بعضهم لبعض في ناحية أو أكثر من نواحي الحياة، وعندما نذكر التكافل الاجتماعي فإننا نعني به تلك المساندة الاجتماعية التي يمكن أن يسديها الناس بعضهم لبعض.

[1] – محمد سيد فهمي، نورهان منير حسن فهمي: **الرعاية الاجتماعية للمسنين**، المكتب الجامعي الحديث، الأزرايطة، الإسكندرية، 1999، ص58.

[2] – محمد سعيد فهمي: رعاية المسنين، مرجع سابق، ص 70.

[3] – محمد سيد فهمي، نورهان فهمي: **الرعاية الاجتماعية للمسنين**، مرجع سابق، ص59.

[4] – محمد سيد فهمي: **رعاية المسنين**، مرجع سابق، ص71.

والواقع أن التكافل الاجتماعي مرتبط أشد الارتباط بالتكافل النفسي [1]، فالتكافل هو رباط اجتماعي – نفسي اكثر منه التزام قانون، لأن روح التكافل والتضامن الاجتماعي هي أقوى من كل الروابط وأنه اختل نظام الروابط والعلاقات الأسرية فليس من سبيل لتحقيق هذا الترابط والتكافل، حيث لا يمكن أن تقوم علاقات الناس وروابطهم والحفاظ على تماسكهم واستقرار أحوالهم المعيشية على مقتضى الالتزام بالتقاضي، وهو الأمر الذي يخشى حدوثه مع التطورات والتغيرات الاجتماعية التي يسير نحوها المجتمع[2].

رابعا: الأدلة الشرعية والعقلية لنظام التكافل.

لنظام التكافل في الإسلام أدلة شرعية وأدلة عقلية وردت كما يلي:

1 – أما الأدلة الشرعية فترجع إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع الأمة.

أ – القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ ولاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى والمسَاكِينْ والجَارِ ذِي القُرْبَى والجَارِ الجُنُبِ والصَاحِبِ بالجُنُبِ وابْنِ السَبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتالاً فَخُوراً * الذِّينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ ما آتاَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ واعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * والذّينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النّاَسْ ولاَ يُؤْمِنُونَ باللهِ ولاَ باليَومِ الآخرِ ومَنْ يَكُنْ الشَيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً * وماذاَ عَليهم لَوْ آمَنُوا باللهِ واليَومِ الآخرِ وانفَقُوا مِمّاَ رَزَقُهمْ الله وكانَ الله بِهِم عَليماً)) [3].

وقال الله تعالى: ((ليسَ البِّرُ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المشْرِقْ والمغْرِب ولكِنَّ البِّرَّ مَنْ آمَنَ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ والملائِكَةِ والكِتَابِ والنبِّيينَ وآتىَ المالَ علَى حُبِّهِ ذَوي القُرْبَى واليَتَامَى والمسَاكين وابنِ السَبيل والسائِلين وفي الرِّقَاب وأَقَامَ الصَلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ والموفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدوا والصَّابِرِينَ في البَأْساءِ والضّراءِ وحينَ البأْسِ أولئِكَ الذّينَ صَدَقُوا وأولئِكَ همُ المتَّقُون)) [4]

---

[1] – يوسف ميخائيل أسعد: **رعاية الشيخوخة** ، دار غريب، القاهرة، 2000، ص ص 230 – 231.

[2] – محمد سيد فهمي: نورهان فهمي: مرجع سابق، ص59.

[3] – سورة النساء: آية 36 -39 .

[4] – سورة البقرة: آية 177.

فإن كل من الإحسان إلى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب...والأمر بالإنفاق في سبيل الله، والتحذير من الشح والبخل، وبيان أن طاعة الله ليست مقصورة على العبادة بل هي شاملة المنهج الإلهي كله، والذي منه: إيتاء المال على حبه ذوي القربى واليتامى.. كل ذلك يؤكد أن الإسلام جاء ليحقق التكافل العام بين جميع أفراد الأمة، وأبناء المجتمع ليعيش الجميع تحت راية الإسلام في أمن ورخاء وتعاون وعيش كريم وأفضل.

ب – السنة النبوية:

روى البخاري في كتاب الأدب: ((ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)).

وأخرج البخاري في صحيحه: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)).

وروى مسلم وأبو داود أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : وكان في حالة سفر وشدة ((من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ..)) قال أبو سعيد الخذري راوي الحديث: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل.

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أتاه فيء [1] قسمه من يومه فأعطى الآهل [2] حظين، وأعطى العزب حظا واحداً))[3].

((وحينما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على فيء بني النضير قسمه بين المهاجرين خاصة، ولم يعط الأنصار منه شيئا إلاّ ثلاثة نفر منهم هم: أبو دجانة، وسهيل بن حنيف والحارث بن الصمة)) أعطاهم لفقرهم.

---

[1] – الفيء: هو المال الذي يؤخذ صلحاً من الأعداء.

[2] – الآهل: المتزوج.

[3] – أبي عبيد القاسم بن سلام، **الأموال**، تح: محمد عمارة، ط1، دار الشروق، 1989، ص247.

إن هذا التوجه النبوي في التواد والرحمة والتعاون، وهذه القسمة في الفيء، والغنائم ..... هذا مما يدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم في إيجاد المجتمع المتكافل المتوازن، وفي تحقيق التعاون الشامل بين أبناء المجتمع الواحد حكاماً ومحكومين أفراداً وجماعات صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً.

ج – الإجماع:

رأي الجماعة في هذا الشأن أن الأمة كلها آثمة إذا رأت الشّر يسير رافعاً رأسه وتسكت عنه وإن الجماعة تكون شريرة إذا كان الشر يسير في طريقه ولا يوجد من ينكره، لأن الشر الذي يظهر على السطح هو الذي يغري الناسبه ويدعوا إليه، وأن الأمة كلها تعتبر مشتركة مع الآثمين إذا رأت الآثم ولم تعمل على منعه، ولقد ذم القرآن الكريم بني إسرائيل، لأنهم أفسدوا ومجتمعهم بترك الآثمين يرتعون في إثمهم من غير أن ينهوهم[1]: قال الله تعالى ((لَعَنَ الذّينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بنُ مَرْيَمْ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُون))[2]

إن إجماع الأمة على أن المسلمين في كل زمان ومكان قد أجمعوا على التعاون والتكافل والمساندة واتفقوا على حماية الضعيف ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، والتعاون الشامل في الصالح العام والتعاون الكامل في حالتي الرخاء والشدة[3].

[1] – محمد أبو زهرة: مرجع سابق، ص8.

[2] – سورة المائدة: الآية 78.

[3] – عبد الله صالح علوان: مرجع سابق، ص12.

الفصل الأول: موارد التكافل في المغرب الأوسط

أولا: الزكاة

ثانيا: الأحباس

ثالثا: الهدايا والهبات

رابعا: الصدقات وموارد أخرى

أولا: مساعدة الفقراء

يندرج الفقراء في الطبقة العامة، ومنها العبيد، الذين لا يملكون حرية أنفسهم، ويبدو أن بعض أسيادهم كانوا يبخلون عليهم بمؤونتهم، فقد عاتب أبو نوح سعيد بن زلغين من أهل ورجلان بورقلة لدى عودته إليها بأن الواحد منهم يطلق عبيده فلا يعولهم ولا يمونهم ولا يكفيهم طلب معاشهم فينطلقون إلى أموال الناس على غير رضى أصحاب الأموال[1]، ولا أدل على وجود الفقراء في المغرب الأوسط ما أورده ابن الصغير حول النظام الذي أحدثه أفلح بن عبد الوهاب [2] لإطعام الفقراء في أيام معلومات كانت تعرف بأيام الجفان، فبنى جفانا وأطعم فيه [3]، فلا شك أن لهذا النوع من الإطعام أكبر الأثر على المجتمع خاصة الفقراء منه والمحتاجين، والواقع أن الفقر كما يقول إحسان عباس بمعناه العام " لم يكن داء يهدد المجتمع الرستمي في يوم من الأيام، أو يتعذر فيه علاجه، لأن الحكام الرستميين منذ الإمام الأول، كانوا يسلكون سياسة إسلامية راشدة كفيلة بأن تنعش جميع فئات المجتمع[4].

ويوجد في مجتمع المغرب الاوسط كغيره من مجتمعات المغرب الأوسط في ذلك الوقت، فئة الفقراء، والمعوزين، والمتسولين والمساكين والبطالين وأهل السجون وأراذل الناس، واللصوص،و الذين يتربصون بالناس والتجار الغرباء القادمين من مصر وإفريقية والأندلس وبلاد السودان وغيرها والسفلة الذين يكثر فيهم الشر والسفسفة والتحايل على تحصيل المعاش وهذا يكون من " وجهة وغير وجهة" لهم الجرأة على الكذب والمغامرة والغش والسرقة والفجور في الإيمان والربا في المبيعات[5].

ولا يختلف سكان الصحراء الصنهاجيون [6] عن سابقيهم، فهم لا يعرفون الطعام ولا رأو الحنطة ولا الشعير، ولا شيئاً من الحبوب والغالب عليهم الشقاء، وقوام حياتهم باللبن واللحم[7].

---

[1]- الدرجيني: مصدر سابق، ج1/ ص154، جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص426.

[2]- يذكر ابن الصغير أنه كان محمود الأفعال قادراً على القيام بأعماله، وكان لعبد الوهاب كتاب من تأليفه معروف بمسائل نفوسة الجبل، لأن نفوسة كتبت إليه في مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسألة (أنظر: ابن الصغير: مصدر سابق، ص36 – 39)

[3]- إبن الصغير: مصدر سابق، ص52.

[4]- إبراهيم بحاز: مرجع سابق، ص253.

[5]- عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص225.

[6]- تحتل بلاد الصحراء قلب المغرب الأوسط، وتمتد أراضيها في خط وهمي من جبال زواوة غرب إقليم كتامة إلى المسيلة في الجنوب، وبين البحر المتوسط إلى جبال زكار على طول نهر شلف غربا، وتشرف شمالاً على واجهة بحرية شاسعة تمتد من بجاية إلى غرب الجزائر بين مزغنة، أما حدودها الجنوبية فتنتهي عند مدينة المسيلة (حول صنهاجة: أنظر: عبد الرحمن بن خلدون:مصدر سابق، ج6/ ص200).

ووجد الفقراء في غير تاهرت من مناطق بلاد المغرب الإسلامي، وهم من وصفهم القاضي بن النعمان في الطبقة السفلى من التدرج الطبقي، ووصفهم بأنهم أهل الحاجة والمسكنة، ويمكن أن نلتمس الفقراء في نواحي بجاية لما أصابتهم مجاعة أوائل القرن السابع للهجرة / 13 م، وامتلأت شوارع المدينة بالمعوزين والمتشردين الذين يفتقدون إلى المأوى والمأكل والملبس[1]

ولقد برز الصلحاء بقوة في مجتمع المغرب الأوسط في الفترة المدروسة للتخفيف من درجة الفقر والرفع من مستوى معيشة أفراد هذا المجتمع، وهذا بتشجيع الأغنياء وحثهم على الصدقة التي اتخذها هؤلاء الصلحاء مسلكاً لمساعدة الفقراء، وقد تصدق "أبو الفضل بن محمد القرشي القرطبي" (ت 662هـ/ 1263م) لأحد فقراء بجاية ممن لا يملكون قوت يومهم، وكان أبو عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق يهب المال لمن يريدون التجارة فيجنون من وراء ذلك أرباح طائلة [2]، وكان أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون بن بهلول (ت 686هـ/ 1288م)لا يتوانى في السعي من أجل الفقراء بأفضل المسالك كما ساهمت صوفية بجاية في ميدان التكافل الاجتماعي والعناية بالفقراء والمعوزين، وحسبنا أن أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن (ت 693هـ/1295م) لم يبخل على أحد من الفقراء، وقد جاء يشكو حالة العوز والفقر فأخرج له أمداداً من القمح يعيل أسرته[3].

كان هؤلاء الفقراء يلبسون الخشن من الثياب ويمكن أن نتخيلها مرقعة ثم هم لا يجدون ما يقون به أنفسهم من عاديات الطبيعة، وكانوا يأكلون البسيط من الطعام كخبز وعليه شيء من الملح أو شوربة البقول، ونحو ذلك، وهؤلاء يتمسكون بفضلات طعامهم فلا يطرحون منها شيئاً، فيأكلون مابات منها[4].

إلاّ أن ما خفف الوطأ على هؤلاء الفقراء كثرة الصدقات التي يدفعها المسلمون التماساً لرضا الله، سواء الأمر منهم أو غيرهم، فكان هؤلاء ينتهزون المناسبات العديدة للقيام بدفع مثل هذه الصدقات إلى مستحقيها، ويمكن أن يكون فعل الإمام عبد الرحمن بن رستم مثالاً لما كان يقوم به الصالحون، كما ذكرنا

---

[1]- بونابي: مرجع سابق، ص188.

[2]- مفتاح خلفات: " **العلاقة بين الصوفية والمجتمع ببجاية خلال العصر الوسيط" ضمن أعمال الملتقى الدولي حول بجاية مدينة التاريخ والحضارة**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، الجزائر، 2013، ص47.

[3]- نفسه:ص47-48.

[4]- جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص428.

سابقاً في فصل موارد الزكاة عنصر الصدقات، فكان يشتري الأكسية والجبات الصوفية والفراء والزيت والطعام فيوزعها على أهل الفاقة[1].

كما اهتم بعض علماء تلمسان بفقراء مجتمعهم وسعوا سعياً كبيراً إلى تحسين أوضاعهم ولم يبخلوا عليهم أي حاجة، حيث نجدهم بذلوا جهدا من أجل ذلك، وكان من إحسان أبو عبد الله ابن مرزوق الجد [2] (ت 681هـ/1282م)، أنه جرت عادته عند جمع زرعه وتخزينه بعد الحصاد، حيث كان يقوم بكيالة ما يحتاج إليه الضعفاء والمحتاجين، ويعطيهم إياه، وإذا انتهى منهم أخذ ما تبقى إلى منزلهدون كيل، يكاد يكفي قوت أهل طوالة السنة، كذلك يتصدق كل جمعة على كل ضعيف القمح والمال[3].

كما نجد أيضا أن أبا عبد الله عمر الحباك، احترف نقل الزبل مقابل كسرة الخبز التي تمنح له لقاء ذلك، فيوزعها على الفقراء [4]، كما كان أبو عبد الله الشوذي الحلوي يتصدق بثمن الحلوة التي يبيعها للصبيان، بشوارع تلمسان[5].

وكان الإمام أبو بكر سملاً جواداً ومثله في الجود محمد بن عرفة فكان كما وصفه ابن الصغير " جواداً سمحاً " ومن بديهيات الأمر أن يقوم الأمراء العلويون بتوزيع مثل تلك الصدقات وهم المنتسبون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب ورافعوا علم الذين في إمارتهم[6].

ويذكر ابن خلدون يحي في كتابه بغية الرواد، في ذكر دولة السلطان أبو حمو [7] أنه في عهده [شيد

---

[1]- ابن الصغير: مصدر سابق، ص30 ومابعدها.

[2]- هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن مرزوق وهو جد الخطيب ابن مرزوق ولد سنة 629هـ/ 1321م، نشأ في خير وعبادة، فقيه، زاهد، محدث، صوفي، له كرامات مجاب الدعاء (أنظر: ابن مرزوق: المناقب، ص 62، أنظر أيضا، يحي ابن خلدون، **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حابيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ج1/ ص114 – 115).

[3]- ابن مرزوق: المناقب، ص158 – 163.

[4]- ابن الزيات: مصدر سابق، ص459.

[5]- يحي ابن خلدون: مصدر سابق، ج/1ص120.

[6]- جودت عبد الكريم: مرجع سابق، ص429.

[7]- هو أبو حمو موسى الثاني، يعود نسبه إلى بني عبد الواد وينتهي أصل هؤلاء إلى قبيلة زناتة وصفه ابن الخطيب فقال (هذا السلطان مجمع على حزمه، وضمه لأطراف ملكه واضطلاعه بأعباء ملك وطنه، وصبره لدولة قومه، وطلوعه بسعادة قبيلة، عاقل، حازم، حصيف، ثابت، وقور مهيب، جماعة للمال، مباشر للأمور، هاجر للذات، يقظ، متشهر، قام بالأمر غرة ربيع الأول في عام ستين، معولاً عند قصد عدوه، وحلب ضرع =الجباية فأثرى بيت ماله ودلته، فهو اليوم من يشار إليهم بالسداد (أنظر: أبو حمو موسى الثاني: **واسطة السلوك في سياسة الملوك** ، تحقيق: محمود بوترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، دار الشيماء للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص8 – 18.)

الأسوار وحفر الخنادق وملأ المطامير والصناديق] وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على كثرة الخيرات ينتج عنها الصدقات وروح التكافل.

وكان إذا اختلف في حبس أو صدقة وحيف فساد ذات بينهم باعوه وأقتسموا ثمنه، وإن جعل آخره لله عزوجل لم يكن لهم بيعه ولم يرجع إليه أبداً ولا إلى عقبه، ويكون إذا نقرض الذين أوقف عليهم ذلك الوقف أوقفه على الفقراء والمساكين[1].

ثانياً: رعاية الأيتام

حظي الأيتام [2] بمكانة عظيمة في الإسلام، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ثلاثاً وعشرين آية، يبين للمسلمين الآداب التي يجب أن تراعى في أحوال اليتامى والقيام على شؤونهم ورعاية مصالحهم وحماية أموالهم، وتعتبر كفالة اليتيم من أفضل القربات إلى الله عز وجل[3] .

قال الله تعالى " فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلَاَ تَقْهَرْ وَأَمَّاَ السَّائِلَ فَلَاَ تَنْهَرْ "[4]

وقال تعالى " أَرَأَيْتَ الذِّي يُكَذِّبُ بالدِّينِ فَذَلِكَ الذِّي يَدُّعُ اليَتِيمَ "[5]

وروينا في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث سهل بن سعد أنه قال: " أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذا". وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما. قال أئمتنا: " كافل اليتيم القائم بأموره"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كافل اليتيم له ولغيره أنا وهو كهاتين في الجنة[6].

---

[1]- يحي إبن خلدون: مصدر سابق.ص145.

[2]- اليتيم من الإنفراد، واليتيم الفرد، واليُتْمُ واليَتَمُ: فقدان الأب، وقال ابن السكيت اليتيم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم، ولا يقال لمن فقد أمه من الناس يتيمٌ، ولكن منقطع، فاليتيم الذي يموت أبوه، وقال أبو عمرو اليتيم: الإبطاء، ومنه أخذ اليتيم، لأن البر يبطئ عنه، ويقال للمرأة يتيمة لا يزول عنها إسم اليتيم أبدا وأنشدوا: وينكح الأرامل اليتامى، ويقال أن المرأة يتيمة ما لم تتزوج، فإذا تزوجت زال عنها إسم اليتيم (أنظر: لسان العرب: مصدر سابق، ص4949.)

[3]- إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا: **رعاية الأيتام في الأندلس (من الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المرابطين)** ، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، الإسكندرية، 2005، ص2.

[4]- سورة الضحى: آية 9 – 10.

[5]- سورة الماعون: بية 1 – 2.

[6]- محمد بن مرزوق التلمساني: **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن** ، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم، محمد بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص419.

وعن رعاية الأيتام في المغرب الأوسط أو كفالتهم تظهر من خلال كثير من المظاهر منها: أن الإمام ابن مرزوق أجرى لسائر الأيتام من سائر القبائل ما يتمشى به أحوالهم ويستغنون به عن التكفف والعالة، فسوغ لهم فيما علمت محرث زوجين ومجباها [1] في كل وطن بحسب خراجه وجبايته وفيه كفاية حتى إذا بلغ حد الخدمة، ألحق بمن عاده فلا يكاد يقع بصرك على يتيم في بلاد المغرب إلاّ وهو مكفول.

ومن صدقاته الجارية وحسناته المستمرة التي سنها ابن مرزوق خاصة [2] وأهل تلمسان وسلاطينها عامة يحتفلون بيوم عاشوراء، صوماً، وزكاة ويقومون بختان الأطفال اليتامى وكسوتهم وإطعامهم [3]، وتميز هذا الطابع الاجتماعي (الختان) خاصة في العهد الفاطمي عموماً بأنه كان طابع اجتماعي، إذ أصبح مألوفاً أن يقوم الخليفة الفاطمي بالإشراف على ختان مجموعة من الصبيان في مملكته، من الفقراء والأيتام والمساكين في حفل بهيج، تفرق فيه الصدقات والهدايا والجوائز القيمة على الحاضرين في أجواء من الفرحة، والألفة، ومما جاء في هذا الصدد " أنه في سنة 330هـ/ 941م، ختن إسماعيل المنصور أولاده وختن معهم ألف صبي وكساهم وأعطاهم ما ينفقون وأمر كتامة أن يختنوا أولادهم[4].

كما حظي الأيتام باهتمام بالغ كما جاء في المعيار للونشريسي من أهل البر والإحسان، ومن النصوص النوازلية التي تندرج ضمن هذا السياق ما أورده صاحب المعيار، من أن جماعة من العدول قدموا رجلاً منهم على صبي مهمل تقديما مطلقا قبله الرجل والتزم برعايته والاهتمام بشؤونه[5].

كما كثرت الصدقات على الفقراء والمساكين واليتامى، وإعداد أطعمة لهم في المناسبات الدينية مثل (عيد الفطر – عيد الأضحى – المولد النبوي الشريف) والتوسعة على أبناء في المأكل وكان بعض الفقهاء الميسورين يحرصون أيضاً على إقامة الولائم التي يدعى لها الأصدقاء[6].

ومما يدل أيضا على رعاية الأيتام والاهتمام بهم في بلاد المغرب الأوسط عندما جاب ابن مرزوق سائر البلاد يجمع اليتامى الذين يفتقرون إلى الختان فيختن كل واحد ويكسوه قميصاً وإحراماً ويعطي عشرة دراهم

---

[1]- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص418.

[2]- ابن مرزوق: المسند، ص420.

[3]- فيلالي: مرجع سابق، ص 274.

[4]- أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم** ، تحقيق: التهامي نقرة و عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د،س)، ص130.

[5]- الونشريسي: مصدر سابق، ج5/ 172.

[6]- المصدر نفسه: ج11/ ص279.

وما يكتفي به من اللحم فيجتمع في كل عاشوراء من الأيتام، من سائر البلاد ما لا يحصى، وهو عمل مستمر في بلاده وسنة جارية قام بها الخلفاء[1].

كما لم يغفل أهل الثراء والبر أيضا عن المشاركة في رعاية الأيتام فكان الجراي بالمغرب أن يقوم جماعة من العدول بتقديم أحدهم على صبي يتيم الأب تقديما مطلقا لرعايته والاهتمام بشؤونه، كما ألمحت إحدى النوزال إلى أن رجلاً أوصى لصبية يتيمة [2] كما ذكر سالفاً بأن يدفع لها بعد وفاته ربع حانوته، وينفق عليها منه إلى أن تتزوج، وهناك رجلاً كان يكفل يتيماً، فأوصى له قبيل وفاته ببقرة ومبلغ من المال ليعيش منه[3].

وخلاصة القول عن الأيتام: أن اليتيم كل من مات أبوه من الذكور ولم يبلغ الحلم ومن الإناث من لم تحض، وأن فقدان الصبيان لأمهاتهم لا يعد يتماً وإنما يقال له منقطع وعجي، واللطيم هو الذي يموت أبواه، وأن الآباء أوصوا إلى أوثق الناس من الأهل أو الأقارب أو المعارف برعاية أولادهم، بعد وفاتهم، وهؤلاء الأوصياء ثلاثة أصناف وهم (الوصي المطللق، والوصي المقيد والوصي بين المطلق والمقيد، ويشترط في الوصي أن يكون رشيداً غير محجور عليه، وأن بعض الآباء عهدوا إلى مشرفين من الأوصياء لرعاية شؤون الأيتام المالية[4].

كما قام القضاء والأوصياء أيضا بحفظ وتثمير أموال أيتامهم، و قاموا بالدفاع عنها في مواجهة محاولات بعض كبار رجال الدولة اهتضامها، وكذلك أخرجوا الزكاة عنها عند حلول الحول عليها [5]، وكان إذا لم يلتزم الوصي الوصي بشروط الوصاية تم عزله.

ثالثاً: كبار السن (الشيوخ) والمرضى:

أ – كبار السن:

روي في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من أكرم شيخاً، قيض الله له في سنه من يكرمه" وروي في الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من

---

[1] – ابن مرزوق: المسند، ص420.

[2] – الونشريسي: المصدر نفسه.

[3] – كمال السيد ابو مصطفى: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب للونشريسي**،مركز الاسكندرية للكتاب،الاسكندرية –مصر،1996 ،ص26.

[4] – إبراهيم عبد المنعم، مرجع سابق، ص61.

[5] – نفسه: ص63.

معمر في الإسلام أربعين سنة إلاّ صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء والجذام والبرص فإذا بلغ الخمسين لين الله عليه الحساب، فإذا بلغ الستين رزقه الله الإنابة إلى ما يجب، فإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في أرضه وشفع في أهل بيته"[1].

وجاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" إنّ من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقْسط"فهؤلاء الثلاثة إكرامهم من إجلال الله سبحانه وتعالى، والتقصير في هذا الواجب تقصير في إجلال الله، لأن رب العالمين دعاك لهذا الأمر لما فيه من خير ومصلحة والحسن والكمال والجمال[2].

وعن التكافل في هذا الباب نورد ما ذكره ابن مرزوق في كتابه المسند أن هذا الأخير أشفق خلق الله على من علت سنه ووهنت قوته وقد أجرى على من اتصف بالشياخة من الضعفاء ولازم الخير رواتب تكفيهم ورسمهم في جرائد عماله شيوخ، وبنى لهم دورا شبه الربط، وأجرى لهم كساءً في كل عام تكفيهم، وهذه منقبة عظيمة وفضيلة جسيمة نفعه الله بها وأعظم له أجراً[3].

وفي فترة وقف بين يديه شيخ نقي الشيب شديد السواد وقد ادعى عليه بما لا يغفر مثله، فقال له الفقيه الأستاذ الصالح أبو عبد الله الصفار " كانوا رضي الله عنهم إذا شاب العبد في خدمتهم أعتقوه وأكرموه" فانصرف مكرما مقضي الحاجة[4].

ب – المرضى:

وعن التكفل بالمرض فيذكر ابن صعد: أن الشيخ الغماري كان يقوم بخدمة المرضى من الفقراء بنفسه ويسقي لهم الماء ويحمل الطعام إلى منازلهم ويتفقد أحوالهم [5]، ووقف ابن حوقل كشاهد عيان على سوء

---

[1]- ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص421.

[2]- عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر: **حقوق كبار السن في الإسلام**، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، السعودية، الرياض، 2011، ص12 – 13.

[3]- ابن مرزوق: المسند، ص427.

[4]- نفسه: ص 428. (أنظر: ملحق رقم -2-).

[5]- ابن صعد: مصدر سابق، ص194.

الأحوال الاجتماعية التي آلت إليها الرعية، فحكى في وصف مدينة "تاهرت" فقال، وقد تغيرت تاهرت عما كانت عليه وأهلها، وجميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم، ودوام القحط، وكثرة الموت والقتل[1]، ويظهر مبدأ التكافل هنا، عندما لجأت السلطة إلى اتخاذ إجراءات وقائية عن حدوث الوباء، كأن تمنع الناس من الدخول إلى المدينة الموبوءة، أو الخروج منها من أجل احتواء الداء، والحد من انتشاره في المناطق المجاورة[2]، ونستشف من فيض النصوص التي تقدمها كتب التراجم والطبقات أن صوفية بجاية كان لهم دوراً في هذا المجال فحين شكلت الكوارث الطبيعية من مجاعات وأوبئة وجفاف وغلاء فقد موايد المساعدة للمتضررين فكانت الأعمال الخيرية التضامنية بالنسبة لهم فرصة للترقي، فهم يشفقون على اليتامى والمساكين والمرضى ...الخ.[3]

وانتشر بالمغرب الاوسط الكثير من الأمراض، وحين مرض الشيخ أحمد بن مرزوق والد الخطيب، أقعده في الفراش أصاب ساقيه وركبتيه ووركيه، حتى صار يحمل على الأكتاف، وربما يكون هذا المرض نتيجة شلل بسيط، أصابه وقد ظل به نحو ستة أشهر حتى يئس ابنه وأصدقاؤه من شفائه، على الرغم من سهر الأطباء على علاجه والاعتناء به[4].

وكان أحد التلمسانيين المجاورين يدعى عمر بن الحاج، هو الذي كان يقوم بحمله على كتفه إلى المسجد والطواف به خلال مدة مرضه بمكة المكرمة، وصنع له عكازين من الخشب، عند النجار يجعلها ابن مرزوق تحت إبطيه ويتكئ عليها أثناء الوقوف أو المشي، وكان يقوم بدهن رجليه بالمراهم والدهون المرطبة، إلى أن شفي من مرضه ووقف ماشيا على رجليه[5].

كما قام السلطان الزياني أبو تاشفين أيام المجاعة التي حلت بالمغرب الأوسط سنة 776هـ/1374م، حيث أمر بفتح أهراء الزرع وإباحة بيعه للناس بعد الحط من سعره الذي اقتضته المجاعة رفقا بالناس وحفظاً لنظام حياتهم، هناك ما يدل على دور السلطة في المغرب الأوسط، حينما اتخذت أماكن خاصة لمرض الجذام تكون بعيدة عن التجمعات السكنية حتى لا يؤذون الناس بأبخرتهم ، فقد كانت الدولة تجمع المصابين بهذا

---

[1]- ابن حوقل: مصدر سابق، ص93.

[2]- رفيق بوراس: " **الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية**" ، رسالة ماجستير، إشراف: محمد الصالح مرمول، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 1428، 2008، ص115.

[3]- مفتاح خلفات: مرجع سابق، ص47.

[4]- فيلالي: مرجع سابق، ص245.

[5]- نفسه، ص245.

الداء في حارات خاصة بعيدة عن المدن تعرف " بحارات الجذامى" لتكون مساكنهم تحت مجرى الريح الغربية، حتى تحمل أبخرتهم بعيداً، كما ذكرت قضية عزل الإمام من خلال كتاب النوازل لمرض الجذام عن الناس حتى لا يتأذوا منهم وذلك من خلال عرضه [1]، كما لعبت السلطة دورا هاما في المغرب الأوسط إزاء مختلف الأمراض والأوبئة، وكان بناء البمارستانات [2] ضمن اهتمامات الدولة بالمرض وشؤون الصحة، وهذا يعكس مدى وعي الدولة واهتماماتها بصحة السكان وسلامتهم [3]، وكان العلاج يتم تحت إشراف أطباء يسهرون على مداواة المرض ومعالجتهم والتخفيف من آلامهم، وذكر حسن الوزان أن بيمارستانات تعددت في مدينة بجاية وهذا يعكس مدى اهتمام السلطة بصحة السكان وسلامتهم [4]، وقد شيد السلطان يوسف بن يعقوب المريني بيمارستان حين بنى مدينة تلمسان [5]، كما اهتم سلاطين الدولة الزيانية أيضا بتشييد مؤسسة البيمارستان، وقد أشار يحي ابن خلدون إلى هذا فترة حكم السلطان أبي تاشفين الزياني [6]، ويبدو أن بيمارستان تلمسان قد شيد قبل عهد أبي حمو موسى الثاني، لأن السلاطين الذين سبقوه كانوا أيضا سباقين إلى عمل الخير وخدمة الرعية، وفضلاً عن المهمة الصحية والإنسانية التي يقوم بها البيمارستان كان يستقبل الغرباء، ويستضيفهم لمدة ثلاث أيام ويتكفل بغسل الأموات الغرباء وكفنهم ودفنهم [7]، بالإضافة إلى أنها اعتبرت بمثابة ملاجئ خيرية التي يأوي إليها غالبية الفقراء والمساكين، بعد أن تجمعهم الدولة هناك حتى يسهل عليها توزيع الصدقات عليهم والاهتمام بهم على أكمل وجه، ومن جهة أخرى قد انتهجت الدولة سياسة مع الفقراء والمساكين تحسباً لوقوع الأوبئة التي غالباً ما تعقب المجاعات، فيكون هؤلاء الناس في مأمن التعرض لها بسبب توفر شروط الصحة كالنظافة والغذاء السليم داخل مؤسسات البيمارستان [8]، وورد في كتاب المسند الصحيح في باب انشائه للبيمارستانات أنه [كان مولانا رضي الله عنه بهذا أعظم، اعتناءً وقد أحيا سبيله من بعده فيها ولده أبو عنان رحمه الله، والولد سر أبيه] [9]، وحين حلت المجاعة ببلاد المغرب الأوسط (تلمسان)،

---

[1]- مزدور سمية: " **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588 – 927هـ/ 1192 – 1520م)**، رسالة ماجستير، إشراف: محمد الأمين بلغيث، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2009/1430، ص72.

[2]- ابن مرزوق: المسند، ص415.

[3]- مزدور سمية: نفسه، ص72 – 118.

[4]- حسن الوزان: **وصف افريقية**،ترجمة:محمد حجي ومحمد لخضر ،دار الغرب الاسلامي،بيروت،لبنان ج2/ ص50.

[5]- مصدر نفسه، ج2/ ص50.

[6]- يحي ابن خلدون: مصدر نفسه، ج2/ ص326.

[7]- فيلالي: مرجع سابق، ص247، يحي ابن خلدون: ج2/ ص326، مزدور سمية، مرجع سابق، ص156.

[8]- مزدور سمية: نفسه، ص 156 – 157.

[9]- إبن مرزوق: المسند، ص 415.

أصدر السلطان أبو حمو موسى الثاني بهذه المناسبة قراراً بالتكفل بالضعفاء والمساكين والفقراء ويضمهم إلى بيمارستانات المدينة، وتقديم الطعام لهم في الصباح والمساء، وفتح للرعية أهراء الزرع ومخازنه وأباح للناس بيعه وخفض لهم سعره[1].

رابعاً: الخدمات العامة

1 – إصلاح المساجد:

اهتم الأمراء والسلاطين ببناء المساجد باعتبار أن المسجد [2] يمثل حضارة المجتمع الإسلامي، وقد تم بناؤها في أماكن متفرقة، والنصوص والوثائق التاريخية أحجمت عن إعطاء جميع أسماء المساجد في تلمسان وجميع أرجاء مدن المغرب الأوسط[3].

وانتشرت المساجد في بلاد المغرب الأوسط، منذ أن دخلها الفاتحون الأوائل في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، السابع ميلادي، وكان أقدم مسجد فيها هو المسجد الذي اعتنى به الأدارسة ومن بين أهم المساجد التي قام الأمراء والسلاطين بتشييدها نذكر:

أ – المسجد الجامع: من أهم مساجد المغرب الأوسط بناه إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأوسط، ولما خلص له المغرب الأوسط، فتلقاه أمير زناتة واختط مسجدها، وصنع منبره[4].

ب – المسجد الأعظم بتلمسان: شيده الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي أثناء بنائه لمدينة تاجرارت سنة 473هـ/1080م[5]، وأعاد بنائه ابنه بن يوسف سنة 530هـ/1135م، وقد غلبت عليه مسحة أندلسية[1]

أندلسية[1]

---

[1] – فيلالي: نفسه، ص255.

[2] – يختلط على الباحث إسم الجامع والمسجد، وهذا التداخل ليس في الإسم فقط بل في الوظيفة أيضاً، وحجم هذه المؤسسات له دخل في تحديد وظيفتها، فالجامع اصطلاحاً أكبر حجما من المسجد، فهو الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة، وغالباً ما يسمى أيضا جامع الخطبة، وبعض هذه الجوامع كان أيضا يسمى بالمسجد الجامع أو الجامع الكبير أو الرئيس أو الأعظم، ومهما تعددت معانيه فقد اعتبرت مكان للعبادة، ونشر العلم (أنظر: بلبشر عمر: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغرب الأوسط والأقصى من القرن 6هـ – 9هـ /12 – 15 م) من خلال كتاب المعيار للونشريسي** ،رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2010 -2011، ص257.

[3] – عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص 145.

[4] – ابن خلدون: مصدر سابق، ج7، ص90.

[5] – فيلالي: نفسه، ص146.

ج – مسجد سيدي إبراهيم المصمودي: اسسه أبو حمو موسى الثاني إلى جانب القبة والزاوية والمدرسة، وهي المباني التي بناها السلطان تكريماً لوالده أبي يعقوب [2]، كما قام عبد الرحمن بن رستم ببناء المسجد الجامع عندما شرع في بناء مدينة تأويه وتأوي الإباضية الذين تقاطروا عليه [3] ومن هنا يظهر لنا دور المساجد في التكافل وهو ما أكده التادلي صاحب كتاب التشوف عندما قال " وأن المسجد كان فيه موضع مظل يأوي إليه المساكين" [4]، وكانت المساجد في المغرب الأوسط لها دور تعليم الصبيان ومقابل هذا يذكر صاحب المؤنس نقلاً عن بحاز إبراهيم عند تعرضه لأبي يزيد أموراً جوهرية في الحياة العلمية بالدولة الرستمية، إذ يشير إلى أن الناس كانوا يتصدقون على أبي يزيد مقابل تعليمه لأولادهم [5]، لقد قدمت أوقاف المساجد خدمات لأفراد المجتمع التلمساني، وغيره [6]، وقد ذكر ابن مرزوق [روينا عن صلى الله عليه وسلم الحديث المشهور المسند: " من بنى مسجداً، ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة" وقد دلت الآية الكريمة على هذا المعنى وهو قوله تعالى " إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ باللَهِ واليَومِ الأَخِرِ وَأَقَامَ الصَلَاةَ وآتَىَ الزَكَاةَ ولَمْ يَخْشَ إلاَّ الله"[7]. ويذكر صاحب المعيار أنه كان حبس المساجد التي كانت فائدتها على تعهد الجامع بالإصلاح ودفع رواتب الإمام والمؤذن والناظر أي المشرف على الحبس [8] وبانتشار هذا النوع من الوقف أدى إلى تكافل اجتماعي داخل مجتمع المغرب الأوسط[9].

---

[1]– يحي ابن خلدون: مصدر سابق، ج1/ ص207، التنسي: مصدر سابق، ص125.

[2]– فيلالي: مرجع سابق، ص147.

[3]– إبراهيم بحاز: مرجع سابق، ص275.

[4]– التادلي: مصدر سابق، ص51.

[5]– بحاز: نفسه، ص279.

[6]– الونشريسي، مصدر سابق، ج7/ ص363.

[7]– ابن مرزوق: المسند، ص401.

[8]– الونشريسي، نفسه ج/7 ص459.

[9]– كمال أبو السيد: مرجع سابق، ص32، عبد الرزاق شقدان: مرجع سابق، ص171.

2 – الزوايا والربط:

أ – الزوايا:

كان طابع الزاوية ديني وثقافي [1]، ديني من خلال أنها تقام فيها الصلوات الخمس ويعتكف فيها للعبادة، يقوم عليها متطوعون نذروا أنفسهم لخدمة الزاوية [2] وثقافي من حيث إقامة الطلبة فيها، أي تشجيع العلم، وكانت تتكفل بإيوائهم، وتوفير متطلبات معيشتهم بحيث يخضعون ويلتزمون بنظامها التربوي، وبعدها أصبحت الزاوية تقوم إلى استقبال الوافدين من المحبين والزوار، وإعالة وإطعام المسافرين وأبناء السبيل [3]، ومن هذا المنطلق يتضح لنا دور الزاوية في تحقيق مبدأ التكافل.

وكما جاء في كتاب المسند الصحيح أن الثواب بقدر الأعمال والأجور بحسب الإنفاق وتعدد المنافع ولهذه أصول في الشرع[4].

ولقد اهتم الملوك والسلاطين أيضا بالزوايا (زوايا الشيوخ والصالحين) والحبس عليها وتعميرها والنظر في مصالحها لدورها الهام في الحياة العلمية والحركة الصوفية ببلاد المغرب الإسلامي عموماً، وكان يشمل أيضا أبناء هؤلاء الشيوخ وذراريهم بعنايتهم ويسبغون عليهم فيتضامن رعايتهم ومن ذلك إعفائهم من الضرائب والمغارم السلطانية تكريما لهؤلاء الشيوخ الصالحين وتبركا بهم وبذريتهم الصالحة[5].

والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج [6]، وأمّا المتجولين فتقوم بحمايتهم (توفير المأوى) ودار مجانية تطعم المسافرين[7].

---

[1]– فيلالي: مرجع سابق، ص152، بونابي: مرجع سابق، ص223.

[2]– بونابي: مرجع سابق، ص 223.

[3]– ابن مرزوق: المسند، ص 410.

[4]– نفسه: ص 411.

[5]– الونشريسي: مصدر سابق، ج6/ ص171، كمال أبو السيد: مرجع سابق، ص110.

[6]– إبن مرزوق: نفسه، ص411.

[7]– فيلالي: مرجع سابق، ص149.

ويظهر دور الزوايا في التكافل من خلال نوازل الونشريسي فيذكر أن سئل سيدي أبو علي منصور بن علي الزواوي من فقهاء تلمسان عن حكم ما يعطيه الملوك للزوايا وأبناء الصالحين[1].

وعن أهم الزوايا التي تم إنشاؤها بالمغرب الأوسط نذكر منها:

- زاوية أبي يعقوب: التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده.

- زاوية سيدي الحلوي: التي أنشأها أبو عنان بشمال المدينة.

- زاوية أبي زيد.

- زاوية سيدي أبي مدين بالعباد.

- زاوية السنوسي.

- زاوية أبي عبد الله

- زاوية ابن البناء بتلمسان[2].

ويذكر الغبريني في كتابه الدراية عن أول ظهور زاوية بالمغرب الأوسط في أواخر القرن السادس الهجري، والمتمثلة في زاوية أبي زكرياء يحي الزواوي (ت 611هـ/ 1215م)[3] يقول في ذلك [وله رابطة بخارج باب أميسون وهي اليوم دائرة][4]، وكذلك الأمر بالنسبة لزاوية أبي حجلة عبد الواحد بتلمسان[5].

كما انتشرت الزوايا بكثرة في دولة بني حماد لا سيما القلعة، حيث كانت تؤدي دورا تعليميا هاما غذ كانت إلى جانب المسجد المكان المخصب لازدهار العلوم.

ومهما يكن فقد أسهمت الزوايا في تعزيز العلاقات الاجتماعية بعد أن أصبحت ملاذ للعديد منهم يلجأون إليها لعرض مشكلاتهم، وحل خصوماتهم وذلك بفضل مكانة الشيخ ومركزه الاجتماعي، حتى أن أحد السلاطين أصدر قراراً بعدم التعرض لكل من يحتمي بالزاوية، وكانت الزاوية تُدعم من طرف الإعانات

---

[1]- الونشريسي: مصدر سابق، ج6/ ص171.

[2]- فيلالي: مرجع سابق، ص149.

[3]- الغبريني: مصدر سابق، ص138 ؛ بونابي: مرجع سابق، ص223.

[4]- الغبريني: نفسه، ص138.

[5]- بونابي: مرجع سابق، ص223.

التي يقدمها المحسنون أو عن طريق أموال الحبس والأوقاف الإسلامية التي يوقفها بعض الأمراء، أو من الأموال التي يقدمها الأتباع والمريدون في شكل بضائع ومواد غذائية[1].

وأدت الزوايا دوراً هاما في خدمة التعليم ببلاد المغرب الإسلامي، من تلاوة للقرآن، وتعليم لأبناء المسلمين، خاصة التي تأوي الصوفية المعتدلة، الذين كان يرأس كل جماعة منهم شيخ يتخذونه قدوة لهم[2].

ولعل أشهر الزوايا بالمغرب الأوسط زاوية أبو الفضل قاسم بن محمد القرطبي (ت 662هـ/1263م) ببجاية والتي كان يقوم للخدمة فيها معاوية الزواوي، وزاوية يعقوب بن عمران البويوسفي (ت 717هـ/ 1317م) والتي شكلت مركز إشعاع علمي وثقافي استقطب الكثير من المريدين من سائر أقطار المغرب [3]، وكذلك زاوية أبي الربيع سليمان بن حبوش الحسناوي، المعروفة بالزاوية الحسناوية، وفي الشلف رصدت المصادر زاوية أبي يعقوب العشاشي.

وتجلت وظيفة معظم هذه الزوايا في إطعام المسافرين وأبناء السبيل والمحتاجين [4]، كما كانت تقام في الزوايا دروس لقراءة العلم، من ذلك زاوية عين الزميت التي بناها السلطان الحفصي، أبو عمران عثمان (839هـ/ 893هـ – 1435م /1488م)، التي جعل فيها جامعاً للصلاة ودرساً لقراءة العلم[5].

وفي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، ظهرت الربط [6] واستمرت في نشاطها إلى غاية نهاية النصف الأول من القرن السابع الهجري وكانت هذه الربط تقوم بنفس وظيفة الزاوية في بلاد المغرب الأوسط[7].

---

[1]- خلفات: مرجع سابق، ص178.

[2]- الونشريسي: المعيار، ج11/ ص46 -47.

[3]- مفتاح خلفات: مرجع سابق، ص176.

[4]- بونابي: مرجع سابق، ص225.

[5]- شقدان: مرجع سابق، ص43.

[6]- الرباط جمع ربط ورابطة وأربطة ورباطات أخذها المسلمون من قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون" وجاء في كتاب المسند الصحيح (اصبروا عن الدنيا، وصابروا عن القتال بالثبات ورابطوا الهوى والنفس اللوامة) والرباط: هو الإقامة على جهاد العدو بالحرب وهو المكان الذي يربط فيه الجند، والمرابط هو الزاهد العابد الذي نوه نفسه عن الدنيا وأقام ورابط بالثغور لحماية الديار الإسلامية الآمنة من هجمات العدو (أنظر: ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص أيضا: محمد الأمين بلغيث: **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين "دراسة تاريخية حضارية"** دار ابن حزم، بيروت، 2005، ص 27.

[7]- بونابي: مرجع سابق، ص227.

ويذكر الونشريسي وجود أربطة على سواحل البحر يجتمع فيها طوائف من أنقياء المسلمين، ويذكرون الله في ختام اجتماعهم يأكلون ما قدم من الطعام[1] وعن دور الأربطة فقد ساهمت بدور كبير في توفير الأمن والاستقرار في المواضع المخوفة حيث أمنت الطرق ووفرت الأمن والطمأنينة للمسافرين[2].

وعموماً عن دور الزاوية والربطة في التكافل فقد أصبحت كل منهما المكان الذي يأوي إليه الفقراء والمحتاجين لأنهم وجدوا فيها ما يحتاجون من الخيرات التي ترد على شيوخها، فقد كان الشيخ محمد الهواري الذي تأتيه الصدقات والنذور من كل البلاد يتصدق بها كلها على الفقراء ولا يترك لنفسه شيئاً، وكان يحث كل الواردين عليه من تجار وأغنياء بإخراج الزكاة وأنها مطهرة للمال [3]، ومثله في ذلك الشيخ الحسن أبركان وغيرهم وغيرهم من شيوخ الزوايا[4].

لقد اتسمت الزوايا بالمغرب الأوسط بالإضافة إلى البعد الديني والتعليمي كان لها دور في الميدان الاقتصادي والاجتماعي من خلال عمليات التضامن والتكفل بالفقراء والمحتاجين والإنفاق عليهم، كما لا ننسى دور الشرفاء في المغرب الأوسط ممن كانت حالتهم ميسورة في تحسين مستوى المعيشة، من خلال أعمال البر والتكفل بالفقراء، فيقول أبو عبد الله محمد الشريف عن أحد الشرفاء "، وأما محمد الأصغر بن محمد بن خالد بن عمران بن صفوان مكث بزاوية أبيه بمديونة بحوز تلمسان أقام بحقها، وكان يكسي العريان ويطعم الجائع ويفدي الأسارى وكان مقصودًا لذلك [5]، واشتهر أحد الأولياء الصلحاء القاطن في إقليم البطحاء بالغنى، فيجمع سنوياً مبلغ يتراوح بين أربعة آلاف وخمسة آلاف يطعم بها الفقراء فكانت زاويته ملجأ للغرباء، حتى كثر عدد مريديه[6].

---

[1] – الونشريسي: المعيار، ج11/ص105، كمال أبو السيد: مرجع سابق، ص111.

[2] – الونشريسي: نفسه، ج3/ص 403، كمال أبو السيد: نفسه، ص 111.

[3] – ابن صعد: مصدر سابق، ص56.

[4] – نفسه: ص129.

[5] – مزدور سمية: مرجع سابق، ص223.

[6] – حسن الوزان: مصدر سابق، ج2/ ص28 – 29.

3 – المدارس:

ظهرت المدارس في بلاد المغرب الأوسط منذ النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، ولقد اهتمت الدول الثلاث (الحفصية، الزيانية، المرينية) التي حكمت بلاد المغرب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14م – 15م) ببناء المدارس التعليمية والإشراف عليها[1].

وأول مدرسة ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي، هي تلك التي بناها يعقوب المنصور الموحدي (555هـ-595هـ) في حدود سنة 593هـ/ 1196م في مدينة سلا شمال (الجامع الأعظم الذي شيد في عهده) [2].

وبمدينة تلمسان أسست خمس مدارس للتعليم وصفها الحسن بن محمد الوزان الفاسي بقوله [... وتوجد بتلمسان... خمس مدارس حسنة، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية، شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس] [3] وكانت المدارس الزيانية هي مدرسة ابني الإمام التي أمر ببنائها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (707هـ – 718هـ) / (1308م – 1318م) سنة 710هـ/ 1310م، وعين على رأس هيئة التدريس بها ابني الإمام أبو زيد عبد الرحمن (ت 743هـ/1342م)، وأخوه أبو عيسى (ت 749هـ/1348م) وكلفهما بإدارة التعليم والتدريس بها، فحملت المدرسة إسمهما[4].

ولم يبق من هذه المدرسة إلاّ المسجد الصغير بمنارته، الذي أسس بجانبها و لايزال قائما إلى اليوم، يعرف عند أهل تلمسان باسم "جامع سيدي أولاد الامام" ويقع في الناحية الغربية من المدينة، في اتجاه باب كشوط المعروفة اليوم بباب سيدي بوجمعة[5].

---

[1]– عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص141.

[2]– الغبريني: مصدر سابق، ص100 – 101.

[3]– الحسن ابن محمد الوزان الفارسي: مصدر سابق، ج1/ ص19.

[4]– فيلالي: المرجع نفسه، ص 142.

[5]– التنسي: مصدر سابق، ص139 – 160.

ولما صارت هذه المدرسة الأخيرة لا تكفي لكثرة عدد الطلبة أقدم السلطان أبو تاشفين بن حمو (718 – 737هـ) / (1318 – 1336م) على بناء المدرسة التاشفينية بجانب الجامع الأعظم [1]، التي كانت تسمى في حياته بإسمه ثم دعيت بالمدرسة الجديدة بعد وفاته، وبناها تكريما للفقيه أبي موسى الشاذلي (ت 745هـ/ 1344م)[2]، فجاءت هذه المدرسة نموذجاً فريداً للزخارف، التي احتوتها قصور ومدارس تلمسان في ذلك العهد.

واحتفل السلطان أبو تاشفين بتدشين هذه المدرسة احتفالاً كبيراً، حضرته مشيخة تلمسان وأدباؤها، وأهمهم أبو موسى عمران المشذالي الزواوي أعرف أهل زمانه بمذهب الإمام مالك [3]، وقد وصف أحد أدباء الأندلس، ما رآه مكتوبا على دائرة مجرى الماء[4].

وشيد السلطان أبو الحسن المريني(732 – 752هـ) / (1331 – 1351م) أثناء استيلائه على المغرب الأوسط ومدينة تلمسان مدرسة العباد الجميلة، سنة (747هـ/ 1447م)، والتي أطلق عليها إسم المدرسة الخلدونية [5] بقرية العباد خارج تلمسان إلى جانب "روضة أبو مدين الغوث" (ت 594هـ/ 1197م)، وتعد من أجمل ما بين من المدارس بتلمسان خاصة وبلاد المغرب على وجه العموم، آية من التراث الحضاري الإسلامي في هذه المنطقة[6].

كما أنشأ ابنه " أبو عنان" مدرسة أخرى بجانب ضريح ومسجد للشيخ الصالح " أبي عبد الله الشوذي الأشبيلي" "الملقب بالحلوي" توفي أوائل القرن السابع الهجري / الثالث ميلادي) والتي يقع شمال المدينة[7].

أما عن مدارس بجاية – وإن أشارت النصوص التاريخية إلى وجودها إلاّ أنها أحجمت عن ذكر أسمائها ومؤسسيها أو حتى مكان تواجدها، كما أن المصادر لم تطلعنا على أي نشاط علمي للزواويين بهذه المدارس

---

[1]- التنسي: نفسه، ص 140 – 141.
[2]- نبيل شريخي: مرجع سابق، ص44.
[3]- التنسي: مصدر نفسه، ص141.
[4]- فيلالي: مرجع سابق، ص142.
[5]- فيلالي: نفسه، ص144.
[6]- نفسه:ص 144.
[7]- نفسه: ص 128.

باستثناء القاضي أبو مهدي عيسى الغبريني (ت 813هـ/1413م) الذي علم بالمدرسة الشماعية بإفريقية[1].

وفي تلمسان أيضا أسس السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني [2] (760 – 791هـ) تخليداً لوالده أبي يعقوب المتوفي سنة 763هـ/ 1362م المدرسة اليعقوبية وكان أبو حمو قد أمر بدفن أبيه برياض يقع بالقرب من باب إيلان ونقل رفاة عميه أبا سعيد وأبا ثابت، من مدفنهما بالعباد إلى جوار ضريح والده [3]، ثم ثم شرع في بناء مدرسة إلى جانب أضرحتهم عهد للتعليم فيها إلى أشهر علماء تلمسان، وقد جعل أبو حمو الثاني هذه المدرسة ملحقة بزاوية ومقبرة خصصها لرفاة ملوك تلمسان.

وخلاصة القول أن هذه المدارس تعتمد في تمويلها على الأوقاف (الأحباس) بالدرجة الأولى ثم على الإعانات التي تأتي من التجار والعلماء، وميسور الحال، وكذا من السلطان والأمراء على حد سواء [4]، كما انتشر في المغرب الأوسط عدة مدارس.

وقد قام بالحبس على المدارس السلاطين والعمامة فكما ذكرنا في عنصر الأوقاف (الأحباس) أن أبو حمو موسى الثاني أحبس على المدرسة التي بناها وسماها المدرسة اليعقوبية[5]، وأحبس السلطان محمد بن موسى موسى بن زيان عدة أحباس على مدرسة ومسجد بمدينة تلمسان سنة 796هـ/ 1393م، قام بذلك أيضا السلطان أحمد العاقل، حيث أعاد الأحباس للمدارس، وأوقف عليها أوقافاً جليلة[6].

---

[1]- مفتاح خلفات: مرجع سابق، ص180.

[2]- التنسي: مصدر سابق، ص157.

[3]- يحي ابن خلدون: مصدر سابق، ج2/ 104.

[4]- نفسه، ج2/ 104 – 136.

[5]- التنسي: مصدر سابق، ص 180.

[6]- عبد الرزاق شقدان: مرجع سابق، 171، التنسي: نظم الدر، ص 249.

الخاتمة

الملاحق

ملحق رقم –1–

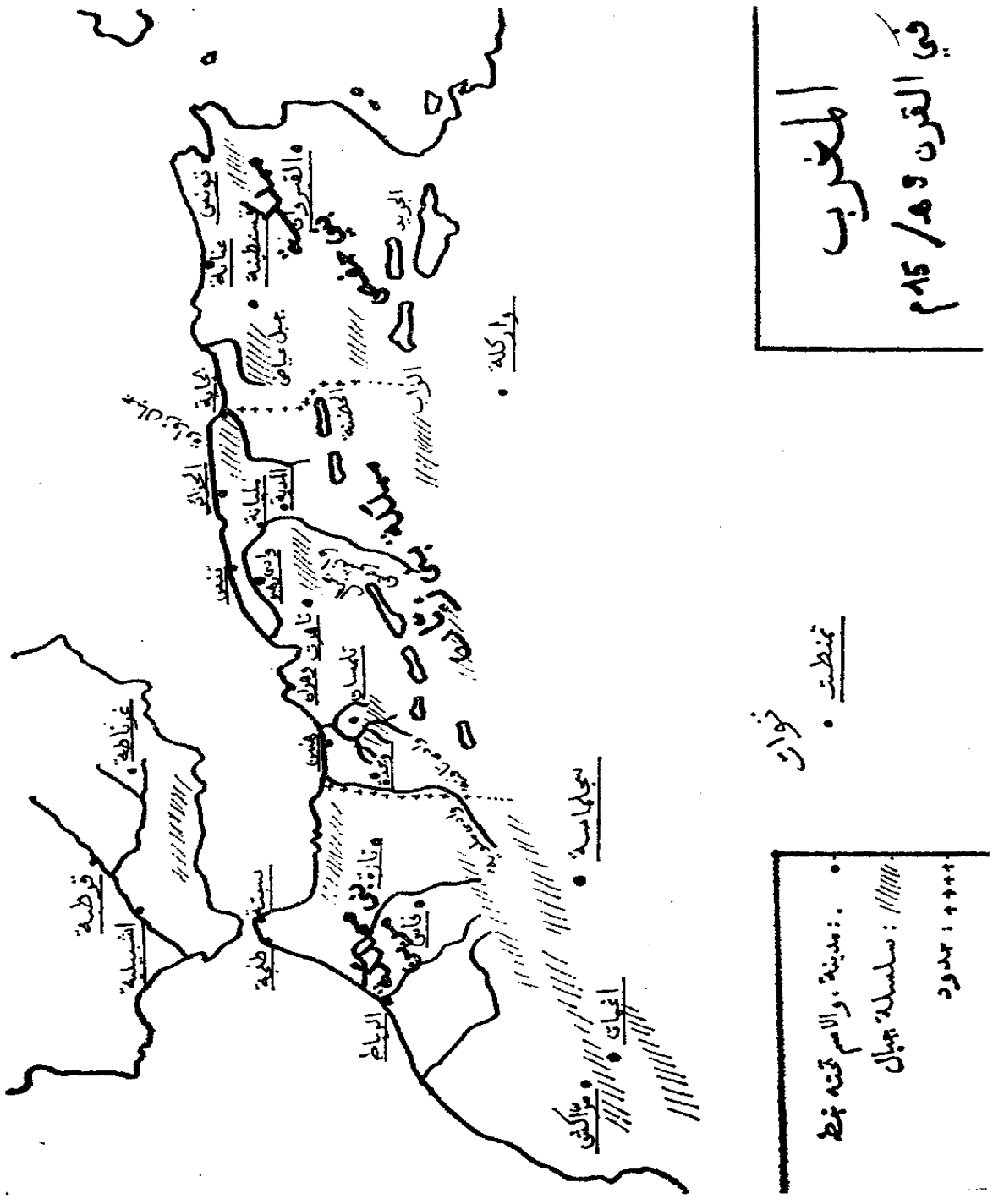

- من كتاب: **نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان**، للتنسي، ص290.

ملحق رقم -2-

قال قائل : (من الوافر)

أتطمع أن تكـــون وأنت شيـــــخ كمـــا قـــد كنت أيـــام الشبـــاب
فقد كذبتك نفســـك ليس ثـــوب جديد كالرفـــات مـــن الثيـــــاب

ولمحمـــود : (من الطويل)

اذا ما دعوت الشيخ شيخا هجوتـــه وحسبك مدحا للفتى قول يا فتى
أشبه أيام الشبـــاب التـــي مضت وأيامنا فى الشيب بالفقـــر والغنـــى

أنشدني غير واحد من أشياخنا بسندهم الى الزاهد أبي عمران المارتلي (نفع الله واياي أعني) : (من الوافر)

أرى الأيـــام تسلبنـــي مشيبـــي وتذهب مثـــل ما ذهب الشبـــاب
وتدفعنـــي وأدفعهـــــا الليالـــــي ويوشك أن يكـــون لها انقـــلاب
ذهبن بقوتي ورضضـــن عظمـــي فحين أقوم يعرض لـــي اضطـــراب
وأنهض حين أنهض بعد (11) لأي تثقلني لـــدى الخطـــب الثيـــاب
اذا بلـــغ امـــرؤ ستـــين عامـــــا فقد أشفى وجد به الذهـــاب * 84
وقـــد بلغتهـــا وازددت سبعـــــا وزدت غوايـــــة فمتـــى المتـــــاب

وله رضي الله عنه : (من الوافر)

الى كم ذا أســـوف بالمتـــاب وهـــ ذا الشيـــب يـــؤذن بالذهـــــاب
والهـــوى والمنايـــــا غائـــــلات تجـــــد ولا تقصر فى طلابـــــي
بلـــوت شبيبتـــي وزمـــان شيبـــي فلا شيبـــي حمـــدت ولا شبابـــي
شباب قـــد تقضـــى فى انهمـــاك وشيب مـــا يكـــف عـــن النصـــاب

وأنشد : (من الكامل)

شيـــآن لو بكت الدمـــاء عليهمـــا عينـــاي حتـــى يوذنـــا بذهـــــاب
لم تبلغا المعشـــار مـــن حقيهمـــــا فقد الشبـــاب وفرقـــة الأحبـــاب

- من كتاب: **المسند الصحيح**، لابن مرزوق، ص425-426.

قائمة المصادر والمراجع

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
"لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ"	البقرة	177	14
"فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ"	آل عمران	37	9
"ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ "	آل عمران	44	10
" الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (37) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (38) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا "	النساء	39-36	14
" لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ "	المائدة	78	16
" وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ "	التوبة	58	18
" خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "	التوبة	103	18
" وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ "	النحل	91	10
" فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا "	الكهف	81	18
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"	النور	21	18
" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "	الحديد	28	10

" مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ "	الحشر	7	22
""فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10)"	الضحى	10-9	35
"أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)"	الماعون	2-1	35

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
– أ–	
– إبراهيم المصمودي	– 42
– ابن البناء	– 44
– ابن حوقل	– 6، 30، 38
– ابن خلدون	– 8
– ابن سعد	– 26
– ابن الصغير	– 19، 20، 28، 32، 34
– ابن عذارى	– 20
– ابن الميمون بن عبد الوهاب	– 18
– أبو أحمد الخزاز	– 28
– أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون بن بهلول	– 33
– أبو بكر	– 34
– أبو حاتم	– 29
– أبو الحسن البوني	– 27
– أبو الحسن علي بن احمد بن الحسن بن إبراهيم	– 29
– أبو الحسن المريني	– 22، 25، 48
– أبو حمو موسى الأول	– 47
– أبو حمو موسى الثاني	– 22،24،25،34،40،41،42،44،48،49
– أبو زيان بن أبي عبد الرحمان	– 25
– أبو زيد عبد الرحمان	– 47
– أبو العباس أحمد بن مرزوق	– 4، 27، 29، 36، 38
– أبو العباس أحمد محمود	– 33
– أبو عبد الله بن الحجام	– 28
– أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي	– 48
– أبو عبد الله الشوذي الحلوي	– 34
– أبي عبد الله الشيعي	– 20
– أبو عبد الله محمد بن بكر بن مرزوق	– 26، 27، 29، 33، 34، 39

– أبو عبد الله محمد الشريف	– 46
– أبو علي المطغري	– 28
– أبو عمران عثمان	– 45
– أبو عنان	– 41، 48
– أبو عيسى	– 47
– أبو الفضل بن محمد القرشي القرطبي	– 33
– أبو الفضل قاسم بن محمد القرطبي	– 45
– أبو مدين الغوث	– 48
– أبو مهدي عيسى الغبريني	– 48
– أبو موسى عمران المشذالي الزواوي	– 48
– أبو نوح سعيد بن زلغين	– 32
– أبي تاشفين	– 25، 39، 40، 48
– أبي ثابت	– 49
– أبي الربيع سليمان بن حبوش الحسناوي	– 45
– أبي زكريا يحيى الزواوي	– 44
– أبي سالم المريني	– 25
– أبي سعيد	– 49
– أبي عبد الله	–44
– أبي مدين بالعباد	– 44
– أبي موسى الأشعري	– 38
– أبي موسى الشاذلي	– 47
– أبي هريرة	– 24، 35
– أبي يزيد	– 42، 44
– أبي يعقوب	– 24، 42، 44، 48
– أبي يعقوب العشاشي	– 45
– أبي يعقوب يوسف الكومي	– 28
– أحمد العاقل	– 24
– أحمد الغماري	– 27، 38
– إدريس الأول	– 41
– اسماعيل المنصور	– 36

– أفلح بن عبد الوهاب	– 32
– أنس بن مالك	– 37
– ب–	
– بكر بن حماد	– 25
– ح–	
– الحسن أبركان	– 29،46
– ز–	
– زيري بن مناد	– 30
– د–	
– الدرجيني	– 18، 25
– س–	
– السنوسي	– 4
– سهل بن سعد	– 35
– السيوري	– 20
– ش–	
– الشريف الإدريسي	– 7
– ص–	
– الصالح أبو عبد الله الصفار	38
– ع–	
– عبد الرحمان بن رستم	– 19، 28،33، 42،
– عبد الله عمر الحباك	– 34
– عمر بن الحاج	– 39
– علي بن أبي طالب	– 19، 34
– غ–	
– الغبريني	– 29، 44
– ف–	
– الفراهيدي	– 10
– ق–	
– القاضي النعمان	– 19، 22، 29

- م-	
- محمد الأصغر بن عمران بن صفوان	- 46
- محمد بن صعد التلمساني	- 27، 38
- محمد بن عرفة	- 34
- محمد بن عمر المرذودي	- 22
- محمد بن موسى بن زياد	- 49
- محمد الثاني	- 26
- محمد الشريف التلمساني	- 29
- محمد الهواري	- 46
- معاوية الزواوي	- 45
- المنصور الزيري	- 43
- و-	
- المنشريسي	- 20، 26، 43، 45
- ي-	
- يعقوب بن عمران البويوسفي	- 45
-يعقوب بن منصور الموحدي	- 47
- يوسف بن تاشفين المرابطي	- 41

فهرس الأماكن

الأماكن	الصفحة
- أ-	
- أزفون	- 30
- الإسكندرية	- 7
- أغماث	- 30
- إفريقيا	- 6
- إفريقية	- 6،7،8
- الأندلس	- 6
- أوروبا	- 6
- ب-	
- بجاية	- 7، 8، 23، 28، 33، 40، 45، 48
- برقة	- 6، 7
- بسكرة	- 30
- بني حماد	- 7
- بني يفرن	- 8
- بونة	- 30
- ت-	
- تجرارات	- 41
- تلمسان	- 7،8،22،24،25،34،36،39،40،41، 43،44،49
- تنس	- 20، 30
- تونس	- 6
- تيهرت	- 8، 20، 29، 30،38
- ج-	
- الجزائر	- 8
- ز-	
- الزاب	- 8
- زناتة	- 7، 8، 41، 46، 47، 48

- زنقة	- 25
- زواوة	- 26
- س-	
- سجلماسة	- 30
- سطيف	- 30
- السودان	- 32
- السوس	- 30
- ش-	
- الشلف	- 45
- ص-	
- صنهاجة	- 8، 32
- ط-	
- طبنة	- 30
- طرابلس	- 7، 8
- ف-	
- فاس	- 7، 30
- ق-	
- قسنطينة	- 8، 30
- ك-	
- كتامة	- 8، 29، 30
- كومية	- 8
- ل-	
- لماية	- 25
- م-	
- مديونة	- 8، 46
- مزتاتة	- 25
- مسكونة	- 6
- المسيلة	- 30
- مصر	- 7، 32

– مطفرة	– 8
– مطماطة	– 8
– مغراوة	– 8
– المغرب الإسلامي	– 6، 21،30، 33،43،45، 47
– المغرب الأقصى	– 6، 24
– المغرب الأوسط	– 3،6،7،8،22،23،24،27،28،29،32، 36،39،40،41،42،44،45،46،47،48
– مغلية	– 8
– مكة المكرمة	– 38
– مليانة	– 7، 23
– المهدية	– 7
– هـ–	
– هوارة	– 8
– و–	
– واد الشلف	– 8
– واد ملوية	– 8
– ورجلان	– 32
– ورقلة	– 32
– وهران	– 8

فهرس الموضوعات

شكر

إهداء

مقدمة.....أ

الفصل التمهيدي: ضبط المصطلحات

أولا: المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط..... 06

1-تحديد الجغرافيين للمغرب الأوسط..... 06

2-تحديد المؤرخين للمغرب الأوسط..... 08

ثانيا: تعريف التكافل..... 09

1-لغة..... 09

2-اصطلاحا..... 11

ثالثا: التكافل الاجتماعي من منظور علماء النفس و الاجتماع 12

رابعا: الأدلة الشرعية لنظام التكافل 14

1-القرآن الكريم 14

2-السنة النبوية..... 15

3-الإجماع 16

الفصل الأول: موارد التكافل في المغرب الاوسط

أولا: الزكاة..... 18

ثانيا: الأحباس 21

ثالثا: الهدايا و الهبات 25

رابعا: الصدقات و موارد أخرى..... 27

الفصل الثاني: مظاهر التكافل في المغرب الأوسط

أولا: مساعدة الفقراء..... 32

ثانيا: رعاية الأيتام 35

ثالثا: مساعدة كبار السن و المرضى..... 41

رابعا: الخدمات العامة..... 41

1-إصلاح المساجد..... 41

2-إصلاح الزوايا و الربط..... 43

3-إصلاح المدارس..... 47

خاتمة..... 51

الملاحق..... 53

قائمة المصادر والمراجع..... 56

الفهارس..... 62

- فهرس الآيات القرآنية 62
- فهرس الأعلام 64
- فهرس الأماكن 68
- فهرس الموضوعات 71